الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

لجنة التنظيم

رئيس لجنة التنظيم:

الدكتور المصري مبروك عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أعضاء لجنة التنظيم

- أ. محمد عبد الرحمان قاسي
- د. الطاهر مشري
- د. أحمد جعفري
- أ. الصديق مقدم
- أ. أحمد شكيب بكري
- أ. إدريس بن خويا
- أ. عبد القادر اقصاصي
- باسة عبد النبي

لجنة الطبع والإخراج:

عبد الرحمن بوظفـــر
عمـــــــــار بكراوي
باطيـــــــر عمـــــار

الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

رئيس الملتقى

أ.د. عيسى قرقب — مدير جامعة أدرار

رئيس اللجنة العلمية

أ. عبد الله رزوقي — جامعة أدرار

أعضاء اللجنة العلمية

أ. محمد عبد الرحمان قاسي	جامعة أدرار
د. الطاهر مشري	جامعة أدرار
د. أحمد جعفري	جامعة أدرار
د. محمد الأمين خلادي	جامعة أدرار
أ. عبد العزيز ابليلة	جامعة أدرار
أ. خالدي ميزاتي	جامعة أدرار
أ. مبارك بلالي	جامعة أدرار

الفهـرس العـام

أعضاء اللجنة العلمية	ب
الفهـرس العـام	ج
ديباجة الملتقى	ه
محاور الملتقى	و

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

01	أ.عبد الحفيظ تحيريشي	مفاهيم النص	13
02	أ. كريمة صمباوي	النص عند القدماء "بحث في الماهية"	19
03	أ. عبد العزيز ابليلة	النص التراثي: محاولة في تحد يد المفهوم	24
04	أ. محمد عبد الرحمان قاسي	القراءة: وإشكالية المصطلح	33
05	د. إبراهيم صدقة	تصور التراث النقدي للنص الأدبي ابن طباطبا أنموذجا	38

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

06	د. شعيب مقتونيف	القراءات المتجدّدة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير	53
07	أ. عبد الله حبيبي	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.	61
08	أ. إدريس بن خويا	النص الأدبي – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال–	70
09	أ. مبارك بلالي	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي	74
10	أ. محمد حاج قويدر	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور مصطفى ناصف عرض وتقديم	77
11	د. بوجمعة شتوان	إستراتيجية الاستعارة في الصورة التراثية	84
12	د. عبد الحليم بن عيسى	"النص التراثي وآليات قراءته التداولية" –نقد النثر لقدامة بن جعفر نموذجا–	90
13	أ. خالدي ميزاتي	النقد الأركوني للتراث : قراءة علمية أم إديولوجيا؟	104
14	أ. بريـك الضاوية	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي	107
15	أ. عبد الله مقلاتي	نقد التراث والتاريخية في مشروع محمد أركون الفكري	113

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

16	د. عبد الكريم بكري	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث	119
17	د. قادة عقاق	وعي التراث وإشكاليات قراءته (مدخل إلى دراسة العلامة في التراث العربي الإسلامي)	127
18	أ. سعاد شابي	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي	136
19	أ. الصديق حاج أحمد	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – أطروحات الدكتور طه عبد الرحمان أنموذجا	142
20	أ. عز الدين حفار	معيار التماسك في النص الشعري قراءة في معلقة عنترة بن شداد	155

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

21	أ. محمد بوسعيد	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي نموذجا"	159
22	أ. أحمد شكيب بكري	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية حكاية سالم والساحر _ لمحمد ديب _ دراسة سيميائية.	169
23	أ. نعيمة سبتي	قراءة النّص التراثي في الخطاب العربي المعاصر (من التنظير الحديث إلى التطبيق المعاصر)	186
24	أ. سليمان قوراري	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي سامي سويدان وريتا عوض نموذجا	194
25	الأستاذ: صديق مقدم	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص الشعرية	199
26	Intervenant: Yahiaoui. Abderrahmane	Apprentissage du français dans la région de TOUAT	206
27	الأستاذ: عبد الحق خليفي	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية	213

ديباجة:

لا يزال التراث العربي – الإسلامي، بمختلف نصوصه وخطاباته، يطبع جوانب أساسية من حياتنا أفراداً وجماعات، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يحتل موقفاً متميزاً في ثقافتنا الحديثة والمعاصرة، سواء بتوظيفه في الصراعات الإيديولوجية التي تشهدها الساحة الفكرية والسياسة عندنا، أو بمساهمة الباحثين والدراسين في إحيائه وإعادة قراءته وفق مناهج ورؤى مختلفة، مما جعل تلك القراءات تتراوح بين الفهم التقليدي الذي يحول النص إلى نموذج تاريخي مغلق وفهم آخر – علمي . قائم على توظيف التجديد المنهجي الحاصل في علوم الإنسان والمجتمع أملاً في لحظة تاريخية تضع الأمة في قلب العالم والعصر.

ولمّا كانت القراءات الحديثة التي تناولت النص التراثي . العربي . أكثر من أن تحصى، فقد رأى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أدرار أن يجعل من تلك القراءات نفسها موضوعاً لقراءات أخرى مشروعة وضرورية، وذلك من خلال تنظيم ملتقى وطنيّ موضوعه: (النص التراثي وإشكالية القراءة) ليكون مناسبة للتعريف بأهم المناهج الحديثة، ومقولاتها، وأدواتها الإجرائية، ومرجعياتها الفكرية والإيديولوجية، وامتحانها في حقل النصوص التراثية لبيان حدودها.

محاور الملتقى الوطني

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

برنامج سير الأشغال

التاريخ	التوقيت	البيان
الاثنين: 2008/04/21		**استقبال المشاركين من جامعات الوطن**
الثلاثاء: 2008/04/22	**09:30 – 08:00**	**الافتتاح الرسمي**
	12:30 – 10:00	**الجلسة الأولى**
	18:30 - 16:00	**الجلسة الثانية**
الأربعاء: 2008/04/23	**10:00 - 08:00**	**الجلسة الثالثة**
	12:30 - 10:30	**الجلسة الرابعة**
	19:00 – 16:00	**الجلسة الخامسة**
	18:30 – 18:00	**الجلسة الختامية**

* برنامج أشغـال الملتقـى الوطني الثالث *

" النَّـص التُّـراثِـي وإشكَـاليـَّـة الـقـرَاءة "

الثـلاثـاء :22 أبـريل 2008 .

الفـتــرة الصـبـاحيـــة: 08:00 – 12:30 .

09:30 – 08:00 مـراسيم الافتتـــاح.
- الافتتاح بآيـات قـرآنيــة.
- الاستمـاع للنشيد الوطني.
- كلمة السيد عميد كليـة الآداب .
- كلمة السيد رئيس قسم اللغة العربية.
- كلمة السيد رئيس اللجنة العلمية للملتقى(السيد الأمين العام للجامعة).
- كلمـة ممثـل الأسـاتذة الضيـوف
- كلمة السيد رئيس الجامعة.

10.00-09:30 استـــــــراحـــــة .

12:30 – 10:00 الجلســة الأولـــى . المحـــور الأول: النص التراثي تحديد المفاهيـــم .

رئيس الجلسة	المتـدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/أحمد جعفري	د/إبراهيم صدقة	ج/ سطيف	تصور التراث النقدي للنص الأدبي " ابن طباطبا" أنموذجا
	أ/ كريمة صمباوي	ج/ أدرار	النص عند القدماء "بحث في الماهية"
	أ/ عبد العزيز أبليلة	ج/ أدرار	النص التراثي: محاولة في تحديد المفهوم
	أ/ عبد الرحمان قاسي محمد	ج/ أدرار	القراءة : إشكالية المصطلح
	أ/ محمد الأمين خلادي	ج/ أدرار	أطاريح التراث العربي ومفاهيم دراستها
	أ/ عبد الحفيظ تحريشي	ج/ أدرار	مفاهيم النص .

الفـتـرة المسـائيـة: 16:00 – 18:30.

الجلســة الثانيـة : المحـور الثاني: القراءات النقـدية للنص التراثي ، وصف وتقديم .

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ الطاهر مشري	د/شعيب مقنونيف	ج/تلمسان	القراءات المتجددة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير
	أ/حبيبي عبد الله	ج/ أدرار	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لابن حزم القرطاجني
	أ/لعلمي حدباوي	ج/ أدرار	قراءة إحسان عباس للتراث
	أ/بن خويا إدريس	ج/ أدرار	النص الأدبي من بنية المعنى إلى سيميائية الدال
	أ/أبلالي مبارك	ج/ أدرار	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي
	أ/الحاج قويدر محمد	ج/ أدرار	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور "مصطفى ناصف"عرض وتقديم
استراحـــــــة			

الأربعاء :23 أبـريل 2008 .

الفـتـرة الصباحيـة: 08:00 – 12:30

08:00- 10.00 .الجلسـة الثـالثـة: المحور الثاني : **القراءات النقدية للنص التراثي : وصف وتقديم**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
أ .د/ بكري عبد الكريم	د/بوجمعة شتوان	ج/ تيزي وزو	إستراتيجية الاستعارة في الصورة الشعرية التراثية.
	د/بن عيسى عبد الحليم	ج/ وهران	النص التراثي وآليات قراءته التداولية نقد النثر لقدامة بن جعفر – أنموذجا
	أ/خالدي ميزاتي	ج/ أدرار	النقد الأركوني للتراث :قراءة علمية أم إيديولوجيا؟
	أ/ باريك الضاوية	ج/ أدرار	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي
	أ/مقلاتي عبد الله	ج/أدرار	نقد التراث والتاريخانية في فكر محمد أركون
	أ/خليفي عبد الحق	ج/أدرار	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية

استراحـــــة

10:30 -12.30 الجلسة الرابعـة:المحور الثالث:**القراءات الحديثة للنص التراثي/المناهج الحديثة وآلياتها**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعـة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ محمد الأمين خلادي	أ.د بكري عبد الكريم	ج/ وهران	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث
	د/قادة عقاق	ج/ س/ بلعباس	وعي التراث وإشكاليات قراءته(الخطاب السيميائي نموذجا)

	د/مشري الطاهر	ج/ أدرار	إشكالية قراءة التراث الصوتي العربي من خلال كتاب (المجمل في المباحث الصوتية) د. مكي درار
	أ/شابي سعاد	ج/ أدرار	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي
	أ/الحاج أحمد الصديق	ج/ أدرار	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – "د / طه عبد الرحمان ".أنموذجاً.
	أ/بكري أحمد شكيب	ج/أدرار	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية: " حكاية سالم والساحر لمحمد ديب نموذجا" دراسة سيميائية

الفتـرة المسـائيـة :16:00 – 19:00 .

18.00-16:00 الجلسـة الخـامسـة: المحور الرابع: مقـاربات تطبيقيـة للنص التـراثي .

رئيـس الجلسة	المتـدخـل	الجـامعـة	عـنـوان المـداخلـة
أ/ عبد الرحمـان قـاسي محمد	أ/حفار عز الدين	ج/ مستغانم	معيار التماسك في النص الشعري "قراءة معلَّقة عنترة بن شداد"
	أ/بوسعيد محمد	ج/ الشلف	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي أنموذجاً
	أ/سبتي نعيمة	ج/ أدرار	قراءة النص التراثي في الخطاب العربي المعاصر من التنظير الحديث والتطبيق المعاصر .
	أ/قوراري سليمان	ج/ أدرار	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي. سامي سويدان و ريتا عوض نموذجا
	أ/مقدم صديق	ج/ أدرار	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص شعرية
	أ/ يحياوي عبد الرحمان	ج/ أدرار	LE FRANCAIS COMME LANGUE D' E'CHANGE ET LE PATRIMOINE CULTUREL LOCAL.
استراحـــة			

الجلسـة الختـاميـة: 18.00–18.30 .قراءة التوصيات واختتام أشغال الملتقى .

المحور الرابع:

مقاربات تطبيقية للنص التراثي

إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي،
تطبيقات في بعض النصوص الشعرية

الأستاذ: صديق مقدم
أستاذ مساعد مكلف بالدروس
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة أدرار

لقد تعرض التراث الأندلسي (شعره ونثره) إلى الكثير من التأويلات والتغيرات التي أحدثت إشكالات كثيرة في قراءته، فراح البعض ينتقص من قيمت هذا الأدب، بل يرى الأصل لذلك الأدب الذي كان في المشرق كما كان الأمر بالنسبة للدكتور شوقي ضيف.

ومنهم من قرأ بعض النصوص الأندلسية قراءة نلمس فيها وقوع أصحابها في أغاليط نتيجة لتأويلاتهم التي جانبت الصواب، والتي يمكن من خلالها أن نبرأ أصحاب تلك القصائد مما اتهموا به، كما فعل الدكتور إحسان عباس وعمر الدقاق والمستشرق الأسباني إميليوغرسية غومس وغيرهم. وسأتناول في هذه المداخلة كل رأي من هذه الآراء التي أثارت إشكالات في القراءة محاولا إجلاء اللبس عنها انطلاقا من النصوص الأندلسية.

1- مع الدكتور شوقي ضيف:

معلوم أن الدكتور شوقي ضيف له مصنفات عديدة ومتنوعة في الأدب العربي وتاريخه، لكنه لم يتخصص ولم يكتب كثيرا عن الأدب الأندلسي وأريد أن أشير هنا إلى ما جاء في كتابه معادا الفن ومذاهبه في الشعر الفن ومذاهبه في النثر عند حديثه عن قضية "شخصية الأندلسي" حيث ينفي أو يكاد وجود شخصية واضحة للأندلس، إذ يثبت أن ذلك التراث الأندلسي ما هو إلا من قبيل وجهان لعملة واحدة، وسأحاول إزالة اللبس الذي ورد في نصه.

يقول شوقي ضيف[1]: "ونحن لا نبالغ إ قلنا بأن شخصية الأندلس في الأدب العربي ليست من القوة كما ينبغي، وخاصة إذا أهملنا جانب البيئة، فمما لا شك فيه أن هذا الجانب أثر أثرا واضحا في طبيعة الأدب الأندلسي شعره ونثره. غير أننا إذا تركنا هذا الجانب لم نكد نجد شيئا آخر، فقد كانت الكتلة الأندلسية تنساق نحو تقليد المشرق بكل ما فيه، وحتى شعر الطبيعة عندهم لم يأتوا فيه بجديد سوى الكثرة، أما بعد ذلك فصورته كله بما فيها من أفكار وأخيلة وأساليب هي الصورة المشرقية. ونحن لا نغلو إذا قلنا إن الأدب الأندلسي مدين في نهضته للتراث العربي العام، وهو تراث كان مشتركا بين الأقاليم العربية كلها لا يختص به إقليم دون إقليم، وكأني بالأندلس لم تجد من الوقت ما تتعلق به الثقافة الرومانية التي تثقفتها قديما على الرغم من اتخاذها اللاتينية، فلما جاء العرب لم يجدوها تحرز تراثا لاتينيا واسعا تستطيع أن تحتفظ به لنفسها وتدمجه في التراث العربي العام.

وما أراني أبعد إذا قلت إن الأندلس كانت تستمد نهضتها وحياتها من بغداد شأنها في ذلك شأن الأقاليم الأخرى. وكان يمكن أن يقوم بينها وبين المشرق فوارق وحواجز لو أنها بدأت حياة عقلية مستقلة عن حياة المشرق تعتمد على ترجمة ما تعرفه من آثار لاتينية، غير أنها لم تتجه هذه الوجهة، بل غرقت إلى آذانها في الثقافة العربية العامة التي نهضت بها بغداد، وآية ذلك أنها لم تقم بها حركة ترجمة كالتي قامت في بغداد "[1].

ومنه فإن موقف شوقي ضيف يعالج قضية هامة في الشعر الأندلسي وهي التقليد والتجديد فهل كان الشعر الأندلسي تقليدا ومحاكاة للشعر المشرقي أم أننا نلمس فيه شيئا من التجديد؟

والحقيقة أن هذه المسألة تعرض لها من قبل ابن بسام الأندلسي (ت.542) في موسوعته المشهورة الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة إذ يقول في مقدمتها: "وما زال في أفقنا هذا الأندلسي القصي إلى وقتنا هذا من فرسان الفنين قوم هم ما هم طيب مكاسر وصفاء جواهر لعبوا بأطراف الكلام المشقق لعب الدجى بجفون المؤرق فصبوا على قوالب النجوم غرائب المنثور والمنظوم وباهوا غرر الضحى والأصائل بعجائب الأشعار والرسائل...إلا أن أهل هذا الأفق أبوا إلا متابعة أهل الشرق يرجعون إلى أخبارهم المعتادة رجوع الحديث إلى قتادة حتى لو نعق بتلك الآفاق غراب أو طن بأقصى الشام والعراق ذباب لجثوا على هذا صنما وتلوا ذلك كتابا محكما...فغاظني منهم ذلك وأنفت مما هنالك وأخذت نفسي بجمع ما وجدت من حسنات دهري وتتبع محاسن أهل بلدي وعصري غيرة لهذا الأفق الغريب أن تعود بدوره أهلة وتصبح بحاره ثمادا مضمحلة مع كثرة أدبائه ووفور علمائه"[2].

إذا هذا النص النقدي يؤكد أن الحركة الأدبية في الأندلس كانت في البداية تقليدا للمشرق بل كان النتاج الأول في هذه البلاد يمثله المشارقة أنفسهم لأنه بعد الفتح توافد الكثير من الشعراء الشارقة إلى الأندلس (الطارئون) وفي المقابل هاجر الكثير أيضا ممن سموهم بالمؤدبين من الأندلس إلى المشرق وأتوا بشعر كثير من هناك ورووه في الأندلس وراحوا ينظمون على منواله بالإضافة إلى أن الحكام الأندلسيين شجعوا قدوم الأدباء والمغنيين إلى الأندلس وأجزلوا لهم العطاء وأغروا لهم الجزاء كابي علي صاحب كتاب الأمالي والمغني المشهور زرياب.

إذن أمام التأثير الأدبي المشرقي وغزارته لم يكن بوسع الأندلسيين إلا أن يؤلفوا في بداية أمرهم كتبهم على غرار كتب المشارقة محاكيهم في مناهجهم ومقلديهم في موضوعاتهم، وممن بدا التأثير المشرقي في كتبهم ابن رشيق المسيلي في كتابه "العمدة" وابن عبد ربه في كتابه "الحق الفريد" وغيرهما.لكن الأندلسيين بلغوا من بعد مرحلة النضج الفكري فأبدعوا وابتكروا، وتفردوا

بشخصيتهم الأدبية وظهر منهم أطوار في الشعر والنثر مثلوا الروح الأندلسية بعيدة عن تأثيرات المشارقة من أمثال ابن حزم وابن حمديس وابن شهيد والرصافي البلنسي وابن خفاجة وابن

الجياب وابن الجنان في جانب الشعر ومن أمثال الكتاب كأبي حفص الهوزني وابن برد الأصغر والأكبر ولسان الدين ابن الخطيب وغيرهم كثير.

---

[1] شوقي ضيف، الفن ومذاهبه في الشعر العربي، ص412.

[2] ابن بسام، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ص20/19، بتصرف.

بل إن أوضح تجديد كان في الشعر الأندلسي هو ظهور الموشح والزجل ورثاء دول ملوك الطوائف وشعر الاستغاثة ووسعوا وأجادوا في غرض الحنين بل فاقوا المشارقة فيه وذلك نتيجة للظروف التي كانت تمر بها بلادهم.

والحق أن موقف شوقي ضيف في هذه المسألة هو موقف نقدي متعصب ومجحف لأنه يلغي كلية – أو يكاد – وجود أدب يسمى "الأدب الأندلسي". وإلا فما معنى قوله: "تنساق نحو تقليد المشرق بكل ما فيه"؟ فلو كان الأمر كذلك لما سموا هذا الأدب كذلك. والحقيقة أن تلك التسمية لا تعني فقط أن البقعة الأندلسية مكانه بل لأنه يمتاز بخصوصيات وسمات أندلسية.

وأعظم من ذلك إجحافا أن الدكتور شوقي ضيف اعتبر كل ما قيل في شعر الطبيعة لم يأتي فيه الأندلسيون بجديد سوى الكثرة. وكأنه يريد أن يقول: إن شعر الطبيعة نموذج مكرر لما كان عليه في المشرق. وإذا كان الأمر كذلك فلما يتعب الدارسون – وهو منهم – أنفسهم في دراسة شيئا معاد مكرر، كان عليهم أن يضربوا عنه صفحا ؟ الحقيقة هي أنهم ما فعلوا ذلك إلا لإدراكهم خصوصية شعر الطبيعة في الأندلس ولذلك فتنوا به وأعجبوا وانكبوا عليه انكباب النحل على الأزهار ليستخرجوا منه شهدا فيه شفاء للناس.

إن الشعر الأندلسي فيه – حقا – بعض التقليد والمحاكاة لشعر المشارقة لكن ذلك ليس إلى حد الذوبان الكلي. والدكتور شوقي ضيف اعترف بأن شعر الطبيعة كثير عند الأندلسيين ومعنى ذلك أن هذه الكثرة فيها شيء من التجديد.

ويؤكد هذا قول مصطفى صادق الرافعي متحدثا عن الشعر الأندلسي: "لقد يخطئ من يزعم أن شعر الأندلسيين يغيب في سواد غيره من شعر الأقاليم الأخرى كالعراق والشام والحجاز.

بحيث يشتبه النسيج وتلتحم الديباجة وذلك زعم من لا يعرف الشعر إلا بأوزانه ولا يميز غير ظاهره ولكن للشعور روحا كروح الإنسان... حتى لقد يجد اللبيب الحاذق من التفاوت بين أنواع الأشعار إذا هو استقرأها وتقصص تواريخ أصحابها ما يصح أن يخرج منه علم يسمى علم الفراسة الشعرية.

ومن هذا القبيل يمتاز شعر فحول الأندلس بتجسيم الخيال النحيف وإحاطته بالمعاني المبتكرة التي توحي بها الحضارة والتصرف في أرق فنون القول واختيار الألفاظ التي تكون مادة لتصوير الطبيعة وإبداعها في جمل وعبارات تخرج بطبيعتها كأنها التوقيع الموسيقي..

ولا يشاركهم في ذلك إلا من ينزع هذا المنزع ويتكلف ذلك الأسلوب لأن جزالة اللفظ في شعرهم إنما هي روعة موقعه وحلاوة ارتباطه بسائر أجزاء الجملة ومن أجل ذلك أحكموا التشبيه وبرعوا في الوصف لأنهما عنصران لازمان في تركيب هذه الفلسفة الروحية التي هي الشعر الطبيعي"[1].

ولا أدل على ما ذهب إليه الرافعي من قصيدة ابن حمديس في وصفه لقصر حيث يقول[2]:

ويا حبذا دار يد الله مسحت عليها بتجديد البقاء فما تبلى

مقدسة لو أن موسى كليمه مشى قدما في أرضها خلع النعلا

---

[1] مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، ص296.

[2] ابن حمذيس، الديوان، ص375.

إذا فتحت أبوابها خلت أنها تقول بترحيب لداخلها أهلا

وينصف الأندلسيين في هذه القضية قول الدكتور عبد العزيز عتيق وهو من دارسي الأدب الأندلسي: "و الواقع الذي شاهده من نفسه أن الأندلسيين قد فاقوا المشارقة في شعر الطبيعة كما وكيفا وتوسعوا ونوعوا في موضوعاته توسعا فاق كل اعتبار كما أنهم كانوا أكثر براعة وابتكارا وتجديدا وتصويرا... ثم يقول: هذه البقعة الكريمة من الأرض والغنية بشتى المناظر والمشاهد التي تأسر الطرف وتستثير المشاعر والعواطف وتستصبي الخيال كان لها الأثر القوى في عقول أبنائها وأخلاقهم وأمزجتهم ورهافة حسهم وصفاء أخيلتهم"[1].

وهذان باحثان آخران يؤكدان ما قاله عبد العزيز عتيق وهما: حسن جاد حسن ومحمد عبد المنعم خفاجة حيث يقولان: وأخيرا نستطع أن نقول إن للأندلسيين شخصية واضحة في شعرهم استمدوها من بيئتهم وتجاوبوا فيها مع طبيعة بلادهم التي كانت مصدر إلهامهم وأفق خيالهم[2].

ونختتم هذه الشواهد بكلام رائع للأستاذ بطرس البستاني يقول فيه مشيرا إلى النزعة الوطنية للأندلسيين: "إذا شئت أن تلتمس إبداع شعراء الأندلس وافتنانهم ودقة وصفهم وجمال تصويرهم وخصب خيالهم فاسمعهم يذكرون الطبيعة الناعمة الناضرة وينعتون زينتها وما إلى ذلك من مفاتن الطبيعة والعمران... وإذا شئت أن تلتمس حب الوطن في الشعر العربي فاطلبه عند شعراء الأندلس... وليس بينه (أي الشعر الأندلسي) وبين الشعر العباسي شبه من هذه الناحية لأن العاطفة الوطنية ضعيفة في شعر المشارقة لا تكاد تلمح لها خيالا إلا في الندرى... إلى أن يقول:

فإن قرطبة وإشبيلية وغرناطة كانت أبلغ أثرا في مخيلات الشعراء من الشام والعراق ومصر"[3].

أفبعد هذا كله نركن إلى قول شوقي ضيف: "وحتى شعر الطبيعة عندهم لم يأتوا فيه بجديد سوى الكثرة".

والحقيقة أن موقف شوقي ضيف في هذه القضية أثار إشكالا في محاولة قراءته لبعض النصوص الأندلسية وهو موقف نشم منه رائحة التعصب القومي وفرض الذات وإلغاء الآخر واعتباره تابعا له وجزءا منه حيث يعطي كل الأولوية والفضل للمشرقي على الأندلسي وهي نظرة استكبار له واستصغار له.

2- اميليو غرسية غومس ورثاء بني الأفطس:

لقد أثار غومس قضية مهمة حين تعرض لقصيدة ابن عبدون الطويلة في رثاء بني الأفطس فقال: فأما القصيدة الأولى فلا نعرف شعرا هو أبعد عن الإحساس الإنساني منها إذ إنها سلسلة من الأبيات تدور حول معنى أين الألى؟ في أسلوب خال من حرارة الإحساس الصحيح[4]. لقد حكم غومس على القصيدة كلها بأنها بعيدة عن الإحساس الإنساني وهذا الحكم لا ينسحب على كامل القصيدة ولقد صدق إحسان عباس حين قال

---

[1] عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، ص291.

[2] حسن جاد حسن ومحمد عبد المنعم خفاجة، الأدب العربي في الأندلس، ص78.

[3] بطرس البستاني، أدباء العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث، 3/78-79.

[4] قضايا أندلسية، حميد متولي، ص106-107.

متحدثا عن ذلك الشعر الذي يشبه مقدمة قصيدة ابن عبدون: "و إنما فيه أسى عميق على العظماء من بني الإنسان فهو بكاء على العظمة رجاء التأسي"[1].

كما أصاب حميد متولي حين رد على قول غومس السابق فقال: "والواقع أن ابن عبدون كان يشعر بالألم يعصر قلبه وإحساسه، فقد كان وزيرا لبني الأفطس بغمره القوم بالنعيم والإكرام.وإذا بكى فإنما يبكي حقا لنعيم زال فعلا، كان هو على الأقل يتقلب فيه. ومن أجل ذلك نرجح أنه كان صادقا في إحساسه الإنساني"[2].

3- مع الدكتور عمر الدقاق ورثاء بربشتر:

يقول ابن العسال في أبيات له عند رثآئه لبربشتر مبينا سبب ما آل إليه أمر المسلمين:

لولا ذنوب المسلمين وأنهم ركبوا الكبائر ما لهن خفاء

ما كان ينصر للنصارى فارس أبدا عليهم، فالذنوب الداء

فشرارهم لا يختفون بشرهم وصلاح منتحلي الصلاح رياء

إن ابن العسال فقيه زاهد قبل أن يكون شاعرا.و تبدو نزعته الدينية من هذه الأبيات الثلاثة فهو يتعرض من خلالها لقضية حساسة، حين يبين سبب ظفر الأعداء بالمسلمين، وتغلبهم عليهم وهو في الوقت نفسه يعطي الحل الأنجع لهذه القضية فيقول:

لولا اقتراف المسلمين الذنوب والآثام وتماديهم فيها، وركوبهم الكبائر علانية، وفي وضح النهار ما كان النصر حليف النصارى أبدا، لأن الذنوب هي اصل كل داء.

وهذا المعنى في أصله مقتبس من ديننا الحنيف،و هو دلالة على ثقافة ابن العسال الدينية. يقول الله عز وجل (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)[3].

ونصر الله يكون بالامتثال لأوامره واجتناب نواهيه والوقوف عند حدوده.

فكيف يتحقق ذلك للمسلمين وهم يجاهلرون بشرهم، وبعضهم ينتحل الصلاح رياء.

وإذا كان ابن العسال قد سجل ذلك الحادث في شعره، واصفا ما وقع، وملتمسا تبريرا لذلك، فإن الدكتور "عمر الدقاق" ينتقد القصيدة، فنيا فيرى أنها "تعاني من وطأة النظم الذي تميز به شعر الفقهاء وعلماء الدين، وهي تعتمد على السرد ومحاولة رسم المأساة بألفاظ مكرورة، دون ان يكون ذلك مرتكزا إلى تصوير حي وأسى عميق". على أنه يكبر مبادرة صاحبها فيقول: "ومع ذلك فإن هذه اللفتة مدعاة إلى الإكبار، لأنها ضجة مبكرة أمام الخطر الداهم برغم أنها كانت كسواها صيحة في واد[4].

وأختلف مع الدكتور الدقاق،فأرى أن ابن العسال إنما كان مراده عرض وقائع هذه الفاجعة، ونقل أحداثها نقلا مباشرا، وبالتالي تكون الأداة المناسبة هي السرد. ثم تكرار الألفاظ في القصيدة دلالة على تأثر الشاعر العميق بالفاجعة، وذلك إن سلمنا بوجود التكرار.

---

[1] المصدر السابق، ص119.

[2] قضايا أندلسية، حميد متولي، ص328-329.

[3] سورة محمد، الآية 7.

[4] ينظر: عمر الدقاق، ملامح الشعر الأندلسي، حلب، منشورات جامعة حلب، الطبعة الثالثة، 1987، ص292.

إن ابن العسال الذي يبدو تأثره بهذه الفاجعة واضحا، قد عبر بروح مشبعة بالوطنية. وقد رثى هذا الجزئ من وطنه، وتجلى ذلك عندما راح يبحث عن الأسباب الحقيقية لما حل بذلك الجزء، ولولا وطنيته لاكتفى بسرده للوقائع.

ولقد كان الدكتور "احسان عباس" مصيبا حين قال: "وربما كان من الكثير أن نتطلب من ابن العسال إظهار تفاعله مع الحادثة وتعدي المجال الخارجي في تصويرها، فقصيدته تدل على تنبهه النفسي لمعنى تلك النكبة، وهو يعرف موطن الداء حين يقول:

"فحامتنا في حربهم جبناء"[1].

4- مع الدكتور إحسان عباس ورثاء طليطلة:

لما سقطت طليطلة راح الشاعر ابن العسال الزاهد يرثي هذه المدينة بنغمة أكثر تفاعلا وقرعا للنفوس إذ أن سقوط هذه الحاضرة يعنيه بشكل مباشر، لأنها موطنه ومسقط رأسه. وقد أخرج منها عندما استولى عليها الروم.

قال ابن العسال عند سقوط طليطلة[2].

يا أهل أندلس حثوا مطيكم فما المقام بها إلا من الغلط

الثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولا من الوسط

ونحن بين عدو لا يفارقنا كيف الحياة مع الحيات في سفط؟

وفي رواية أخرى[3].

السلك ينثر من أطرافه وأرى سلك الجزيرة منثورا من الوسط

من جاور الشر لم بأمن عواقبه .....

وهي نغمة إنهزامية نستغربها من فقيه زاهد ينتظر منه أن يدعو إلى الجهاد ويحمس على القتال إن لم يرفع اللواء ويتقدم الصفوف على نحو ما فعل كثير من فقهاء الأندلس "كابي الربيع الكلاعي" وغيره. ولذلك يقول الدكتور "إحسان عباس" معلقا على هذه النغمة وملتمسا لها تسويغا:

"..ولكن صوته في هذه المرة غريب أجش في الأسماع، لأنه بدلا من أن يبكي على ما حل ببلده، يحذر الأندلسيين من الإقامة في بلدهم، ويدق لهم ناقوس الخطر...

ولو كنا نحاسب ابن العسال حسب ظاهر كلامه لقلنا: إنه قد آثر موقفا إنهزاميا، ودعا فيه قومه إلى الجلاء عن أوطانهم. لأن طليطلة سقطت وهي في وسط البلاد...

ولكن هذا اللون السلبي من التعبير عن الحقيقة كان يومئذ مبالغة في التنبيه والتذكير"[4].

---

[1] ينظر إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي، عصر ملوك الطوائف والمرابطين، ص179.

[2] المقري، نفح الطيب، 352/4.

[3] أحمد أمين، ظهر الإسلام، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الرابعة، 1996، 1/3.

[4] إحسان عباس، م.س، ص183.

ويبدو لي أن ابن العسال –وهو فقيه – اعتمد قاعدة أصولية وهي أنه المسلين إذا أحسوا بالخطر يداهمهم من كل جانب، وجب عليهم حفظ دمائهم، بأن يتراجعوا ليجمعوا شتاتهم ويوحدا صفوفهم، ويضبطوا خطة قتالهم، فراح يناشد أولي الألباب ويستفيقهم من غفوتهم وغفلتهم. وقد يؤكد ما ذهب إليه تعليق الدكتور قيصر مصطفى على هذه الأبيات حيث يقول[1] [2]: "وهذه صرخة الملكوم حقا، الثائر حقا، الحاقد على المتقاعسين، المحذر لأهله في آن واحد... وهي وإن كانت حزينة، إلا أنها في وقعها على النفس كالسياط الذي يلهب الجسد ويدمي القلب".

قائمة المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة – ابن بسام.
- نفح الطيب – المقري.
- تاريخ الأدب الأندلسي ج 2 – إحسان عباس.
- الأدب العربي في الأندلس – عبد العزيز عتيق.
- الأدب العربي في الأندلس – حسن جاد حسن وعبد المنعم خفاجة.
- الفن ومذاهبه في الشعر العربي – شوقي ضيف.
- حول الأدب الأندلسي – مصطفى قيصر.
- أدباء العرب وعصر الانبعاث – بطرس البستاني.
- ظهر الإسلام – أحمد أمين.
- تاريخ آداب العرب – الرافعي.
- قضايا أندلسية – حميد متولي.

[1] مصطفى قيصر، حول الأدب الأندلسي، بيروت، مؤسسة الأشراف، د.ط، د.ت، ص86.